جماليات التكرار في شعر بلقاسم خمار

الطالب :علي علوش

المركز الجامعي أحمد الونشريسي تيسمسيلت

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن جماليات التكرار بوصفه ظاهرة أسلوبية اتسم بها الشعر الجزائري الحديث، خاصة الثوري منه.

متخذة الدراسة التطبيقية لشعر محمد بلقاسم خمار، ومحاولة الوقوف على ماهية التكرار وما مظاهر صوره في شعره، والدوافع الأدبية اللغوية والتعبيرية التي حدت بالشاعر إلى توظيف هذه الظاهرة الأسلوبية، وما مدى مساهمتها في تكثيف الدفقة الشعرية، ورصف الدلالات وتعميق المعاني، وشحن النّص الشعري بمختلف الجماليات.

الكلمات المفتاحية:

التكرار، الجمالية ، أسلوبية، الوظيفة ، التأثير، الدلالة ، ظاهرة .

Résumé:

L'intitulé: L'esthétique de la répétition dans la poésie de Mohamed Belkacem Khamar

Cette étude cherche à révéler l'esthétique de la répétition comme un phénomène stylistique qui caractérise la poésie algérienne moderne, en particulier l'aspect révolutionnaire.

Nous avons fait une étude appliquée de la poésie de Mohamed Belkacem, en essayant de se tenir debout sur l'aspect de la redondance et ses manifestations. Une image représentative dans sa poésie, les motifs littéraires et expressifs qui ont conduit le poète à employer ce phénomène stylistique, le dégrée de contribution à l'intensification poétique, un classement des significations et l'approfondissement du sens, la recharge du texte poétique de différent aspect de l'esthétique.

Mots clés:

Répétition, esthétique, stylistique, la fonction, l'impact, sémantique, phénomène.

بسط منهجي:

يعد التكرار ظاهرة تحدث على مستوى النص، فتفشي فيه حركة ملحوظة تمتاز بالعذوبة والاستحباب، وهذا ما يجعله يمتاز بالفنية والجمالية المطلقة، كما يعد التكرار مرتكز الإيقاع بجميع صوره.

ولأهمية هذه الظاهرة الفعالة في سبك المعنى وحبك الفكرة وتنغيم الإيقاع، اهتمت القصيدة العربية الحديثة به بشكل عام، والقصيدة الجزائرية بشكل خاص،فساهمت ظاهرة التكرارفي بنائها وواظبت على حضوره لتثبيت إيقاعها وتنظيم نبراته، ولتستحوذ على اهتمام المتلقي، فتنساب إليه المعاني والأفكار، وهذا ما هدف إليه الشاعر بلقاسم خمار من حضور التكرار في ديوانه.

أسلوب التكرار الماهية والمفهوم:

المعنى اللغوي للتكرار:

تناولت المعاجم العربية لفظة كرر، حيث جاء في القاموس المحيط للفيروزآبادي أن المصطلح انشق من الجذر اللغوي (كر)، حيث يقول: " كرّ عليه كرًّا وكُرورًا وتَكرارا: عطف ،عنه: رجع، فهو كَرّ ّاَر ومِكَرْ، بكسر الميم. وكرّرَهُ تَكريرا وتَكرارا وتكِرَّةً، كتحلّةٍ، وكَرْكَرَهُ: أعاده مرة بعد أخرى[1]، ويؤكد ابن منظور في لسان العرب أن الفعل " كرّر" يقصد به الرجوع والإعادة ومنه كان المصدر التكرار، حيث يقول: " (كرر) الكرُّ: الرجوع يقال: كرّه وكرّ بنفسه، يتعدى ولا يتعدى. والكرُّ: مصدر كرّ عليه يكُرّ كرّا وكُرورا وتَكرارا: عطف. وكرّ عنه: رجع، وكرّ على العدو يكُرَ ُ، ورجل كرّار ومِكَر، وكذلك الفرس. وكرّر الشيء وكركره: أعاده مرة بعد أخرى. والكرّة: المرة، والجمع الكرّات ويقال: كررت عليه الحديث وكَركَرته إذا رددته عليه. وكركرته عن كذا كركرة إذا رددته. والكرّ الرجوع على الشيء، ومنه التَكرار".[2]

كما يخرج التكرار عند ابن منظور إلى معنى الترديد والمعاودة في الأمر وكثرة التفكير في قضية معينة "كررت الشيء تكريرا وتكرارا... وتكركرالرجل في أمره أي تردّد. والمكرّر من الحروف: الراء، وذلك لأنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتغيربما فيه من التكرير.

ويقول الزمخشري، كرّر: " انهزم عنه ثم كرّ عليه كرورا، وكرّ عليه رمحه وفرسه كرّا،و كرّ بعدما فرَ،وهو مكرَ مفرَ وكرّرت عليه الحديث كرًّا، وكرّرت عليه تكرارا وناقة مِكرَة:تحلب في اليوم مرتين"[3]

المعنى الإصلاحي للتكرار:

فهو " يعني ورود اللفظ مرتين أو أكثر، ولا ينشأ من تكريره معنى ثان زائد على الأول إلا ما قد يتولد من السياق"[4]، وكذلك هو "دلالة اللفظ على المعنى مردد كقولك لمن تستدعيه:(أسرع، أسرع)، فإن المعنى مردد، واللفظ واحد"[5]، والتكرار من أعمق ظواهر الحياة، يظهر في الأدب في تناوب الحركة والسكون أو تكرار الشئ على أبعاد متساوية، وفي ترديد لفظ واحد أو معنى واحد وهوالترجيع. [6].

تمظهر التكرار في شعر بلقاسم خمار:

فالتكرار الذي نعنيه هو تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير، بحيث تشكل موسيقى يقصده الناظم في شعره، وهذا النظم الشعري في القصيدة يقوم على التكرار، فبلقاسم خمّار تقيد بالنغمة الأولى في البيت الأول من قصيدته، وعليه فالتكرار أفاد من تقوية الصورة الشعرية، وبالتالي أضفى على القصيدة جوا عاطفيا ثوريا، وهذا ما يدل على تعبيره عن فكرة فيذكر اللفظة مرتين أو ثلاثا، والتكرار هو واقع الألفاظ دون المعاني ويضم أغراضا عديدة نذكر منها: التأكيد، التنبيه، الدهشة، والتهويل، وبالتالي إيضاح الصورة وجمالها الفني، فالشاعر بلقاسم خمار يستند بهذه الظاهرة لغرض تأثيري يتمثل في إحساس المتلقي ووجدانه، وهو ما نجده في قصيدته " دعاء الحق" التَّكرار على مستوى الحرف واللفظة.

إن محور الثورة شكّل نتوءا صوتيا لدى الشاعر، وهذا ما نلحظه خلال تشكيلات الأصوات كونها كانت حروفا متفاوتة المخرج، فترديد هذه الحروف أدى إلى تكرارها وبالتالي تناظرت فيما بينها من حيث الشّدّة والرخاوة، ومن ثم نقول أن الشاعر بلقاسم خمّار كان محافظا على التشكيلات في الانتشار والاختلاف والتماثل، حتى وإن اختلفت طبيعة الأصوات لكن الثابت هو استمرار النتوء والتوافق الصوتي المتمثل في تكرار الحرف على مستوى القصيدة، حيث يقتضي تكرار حروف بعينها في الكلام مما يعطي الألفاظ التي ترد فيها تلك الحروف أبعادا تبرز كيان الشاعر ومثال ذلك ما ورد

في قوله:

لا السجن لا الغدر يثنيها إذا انطلقت * ولا الزمان ولا التهديد والألم** [7]

نلاحظ في هذا البيت تكرار حرف اللام التي كشفت عن حالة الشاعر النفسية،كما ساهم في بناء القصيدة وزاد في تماسكها،فهو تكرار يحمل أبعادا إيحائية ودلالية تنسجم مع المواقف التي يحاول الشاعر التعبير عنهاوهو حبه لوطنه، مرورا إلى التكرار على مستوى اللفظة وهذا ما ظهر جليا في لفظة خلف فنجده يقول:

الشعب خلفك كالإعصار منطلق * وخلفه أمة من خلفها أمم** [8]

ولفظة القول في بيت آخر:

قالت فرنسا وما في القول من عجب * إن كان من قاله في مخه ورم** [9]

ومن خلال هذين البيتين يتضح أن تكرار اللفظة يعيد نفس اللفظة الواردة في الكلام لإغناء دلالة الألفاظ واكتسابها قوة تأثيرية ، تجسيدا في قوله:

جاءتك ثورتنا تدوي مزمجرة * كالسيل فوق بطاح الضاد تزدحم** [10]

جاءتك جاءتك لا بحر ولا جبل * يقيك منها ولا حلف ولا خدم**

فالتكرار في هذه الأبيات يقع على مستوى اللفظ دون المعنى ولكن هو في المعاني دون الألفاظ أقل [11] فابن رشيق القيرواني يرى أنه إذا تكرر اللفظ والمعنى معًا حدث الخذلان، وعليه يكون الاهتمام بالمعاني المستفادة من ذلك التكرار دون إظهار الميزة الفنية، وهذا ما وضحه شاعرنا خلال أبياته السابقة، حيث كرر لفظة "جاءتك"، وكذلك لفظة " ثورتنا" في الأبيات الأخرى مثل:

قولي لهم جبهة التحرير ثورتنا [12]

فالتّكرار عنصر من عناصر النص اللغوي قد جعل من النص الشعري الذي اخترناه للدراسة بنية متماسكة ومتلاحمة الأجزاء أساسها ومحورها لكلمات المفاتيح التي شكلت من خلالها الثورة بؤرة المعنى الشعري.

ولا جرم أن بلقاسم خمار استطاع جراء التكرار أن يغني المعنى، ويرفعه إلى مرتبة الأصالة، بذلك استطاع أن يسيطر عليه بأكمله وتوظيفه في موضعه وذلك كون الشاعر عايش أحداثا ثورية رهيبة، فالتكرار أصبح فاعلا في تجربة الغربة عند الشاعر إذ يهدف إلى تقرير واقع الحال (أي غربة الشعب في وطنه).

لقد أصبح التكرار وسيلة من الوسائل اللغوية التي يمكن أن تؤدي دورا تعبيريا واضحا في قصيدة (دعاء الحق)، فتكرار لفظة ما أو عبارة ما، يوحي بشكل أولي بسيطرة هذا العنصر المكرر و إلحاحه على فكر الشاعر أو شعوره ومن ثم فهو لا يفتأ ينبثق في أفق رؤياه من لحظة لأخرى. (13)

ولعل رغبة الشاعر في تكرار اللفظ أثناء خطابه الشعري في قصيدته، هو حرصه على تأكيد المعنى الذي تحمله تلك الألفاظ المكررة، ألا وهو حب الوطن وتقديسه والحنين إليه.

فالشاعر وفق في اختياره للفظ الملائم لغرضه الشعري الذي يرغب من خلاله إلى التعبير بصدق عن انفعالاته وعن معاناته في بلد ليس ببلده، نلمح من ذلك انسجاما وتوافقا داخل خطابه، وهذا ما أدى إلى تناغم في اللفظ والمعنى، ومن تلك الألفاظ التي اختارها ليجسد ويرسم تلك الصورة الممزوجة بالحنين إلى الوطن ومرارة الغربة نجد لفظة (الأرض) التي وردت في قوله:

فدمدمت أرضنا بالرعد تخبرها * إن الجزائر لا غرب ولا عجم** (14)

وفي البيت السادس عشر يقول:

فلا لسان ولا دين يوحدنا * ولا دماء ولاأرض ولا رحم** (15)

جيش يعززه شعب بأجمعه * أرض تزلزل والهيجاء تحتدم**

ومن خلال هذه الأبيات يتبين أن الشاعر يوحي من لفظة (الأرض) إلى تعلقه الشديد بأرضه (الجزائر) وحبه لها ورفضه للغربة والبعد، إذن التكرار الذي وظّفه الشاعر بلقاسم خمّار هو التكرار العمودي، ذلك التكرار الذي يعزز النسيج الصوتي، ويتحقق عن طريق جرس الحروف والكلمات فتتجاوب الأصوات اللغوية عند تموجها شدة ولينا فتعطي للقصيدة إيقاعا يستجيب للحالة النفسية لمشاعر الشاعر، مما يكسب المتلقي ذلك الذوق الجميل فكلما زاد التكرار زادت كثافة الإيقاع من بيت لآخر.

والشيء الملاحظ أن ظاهرة التكرار من الظواهر الأسلوبية التي تكثر خاصة في الشعر المعاصر لمقصود دلالي وإن دلّ على أنّ شاعرنا (محمد بلقاسم خمّار) يتناسب مع تلك الفترة المعاصرة لأن حركة نسيجه اللغوي كانت في شكل فني منتظم، تدفقت إثر ذلك دلالات من خلال ما أشار إليه في قصيدته من علامات أسلوبية عبر وحدات النص أو الإبداع الفني الذي ارتبط بالمجال الثوري عنده، فالتكرار أسلوب تعبيري يصور انفعال النفس بمثير من أشباه ماسلف،واللفظ المكرر فيه هو المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة لاتصاله الوثيق بالوجدان[16] ، ومن ثم تتجلى أهمية التكرار في نمطين هما:

- الأهمية الجمالية: يكمن وجودها في النصوص الأدبية، والأعمال الفنية القائمة على الحركة الإيقاعية فقط، إذ ليست كل حركة إيقاع. [17]
- الأهمية النفعية: تتمثل في تسهيل عملية الحفظ وحسن الأداء في الأعمال الشعرية سواء المكتوبة أو المسموعة، اعتماداً في تلوين القصيدة لاجتذاب العمل السمعي والبصري معا، من خلال هذين الأهميتين تتحقق المتعة الفنية لدى الشاعر بالرغم من اختلاف طريقة التكرار من شاعر لآخر ومن اتجاه إلى آخر، وهذا ما يرجع إلى قدرة كل شاعر على التحكم في النمط التكراري مع اختلاف التجربة والقدرة الفنية والظروف المعايشة لكل شاعر. [18]

الشاعر في هذه القصيدة ناوب بين التكرار العمودي والأفقي، بحيث وظف التكرار الأفقي في قوله:

لا يعرف الشعب عزّا بعد ذلّته * إلا إذا عزّ فيه السيف والقلم**[19]

أمّا العمودي تجسيدا لقوله: [20]

جاءتك ثورتنا ثورتنا تدوي مزمجرة * كالسيل فوق بطاح الضاد تزدحم**

جاءتك جاءتك لا بحر ولا جبل * يقيك منها ولا حلف ولا خدم**

انطلاقا من هذه الأبيات الثلاثة الأخيرة نستنتج شكل التكرار الأفقي والعمودي في الرسم التخطيطي الآتي:

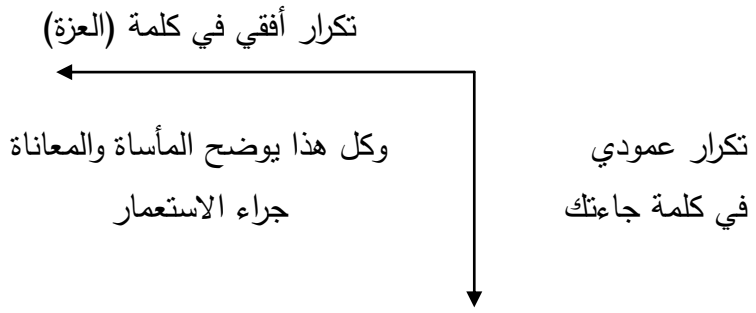

الهوامش:

1- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تقديم وتعليق: الشيخ أبو الوفا نصر الهوريني،راجعه أنس محمد الشامي وزكريا جابرأحمد، دارالحديث، القاهرة، حقوق الطبع محفوظة،ط 2008 م، مادة (كرر)، ص 1406.

2- ابن منظور: لسان العرب دار صادر، بيروت، لبنان، مج5، ص 135،136.

3- ينظر:الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1 ، 1419هـ/1998م، ج 2، ص 129/128.

4- محمد كراكبي: خصائص الخطاب الشعري (في ديوان أبي فراس الحمداني)، دراسة صوتية وتركيبية، دار هومة، ط 2009، ص 114.

5- محمود السيد شيخون: أسرار التكرار في لغة القرآن، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع ،د ط ،د ت ،ص 09.

6- محمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن، دار عمار، حقوق الطبع محفوظة ، ط2 ، 1421هـ/2000م، ص 259.

7- محمد بلقاسم خمار: ديوان ظلال وأصداء، قصيدة (دعاء الحق)، أطفالنا للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2010م، ص 138.

8- المرجع نفسه، ص 138.

9- المرجع نفسه، ص 139.

10- المرجع نفسه، ص 141.

11- ينظر: سامي محمد عباينة، التفكير الأسلوبي (رؤيا معاصرة في التراث النقدي والبلاغي) في ضوء علم الأسلوب الحديث ، ط1، 2008 ، جدار للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث، إ ربد، الأردن، ص 209.

12- محمد بلقاسم خمار، المرجع السابق، ص 142.

13- محمد عارف محمود حسين: عناصر الإبداع الفني في رائية أبي فراس، مطبعة الأمانة، مصر، ط 1، 1988، ص74.

14- محمد بلقاسم خمار، المرجع السابق، ص 139.

15- المرجع نفسه، ص 139.

16- نازك الملائكة:قضايا الشعر المعاصر، منشورات مكتبة النهضة، ط3، 1967، ص242.

17- ينظر: محمود السيد شيخون: المرجع السابق، ص 22/21.

18- ينظر: عمر بوقروة : الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث (1945-1962)، منشورات جامعة باتنة، ص 230.

19- محمد بلقاسم خمار، المرجع السابق، ص 138.

20- المرجع نفسه، ص 141.